

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَ الْإِنْسَانَ، وَخَلَقَهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)، وَهُوَ الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَعْظَمَ مُعَلِّمٍ وَأَدْلُ دَلِيلٍ إِلَى الْهُدَى وَالْإِيمَانِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَإِنَّ التَّقْوَى مَطِيَّةُ النَّجَاحِ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى الْفَلَاحِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ كَانَ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ بَعَثَ فِيهَا رَسُولًا، وَأَنْزَلَ إِلَيْهَا كِتَابًا، وَقَدْ كَانَتْ أُمَّةً أُمِّيَّةً لَا تَقْرَأُ وَلَا تَكْتُبُ، وَمَا أَنْزَلَ كِتَابٍ عَلَيْهَا إِلَّا دَعْوَةٌ لَهَا لِيَتَقْرَأَ؛ إِذْ لَا يُمَكِّنُ لَهَا أَنْ تَتَّعَمَلَ مَعَ ذَلِكَ الْكِتَابِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ إِلَّا بِإِتْقَانِهَا الْقِرَاءَةَ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ أَرَادَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ تَنْتَقِلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؛ لِتَكُونَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَلَقَدْ ائْتَنَّا اللَّهَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣)، وَإِنَّ مِنْ عَظَمَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا رَسُولًا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُرْتَبِطَةً بِعِرْقٍ وَلَا جِنْسٍ وَلَا لَوْنٍ، بَلْ أُرِيدَ لَهَا أَنْ تَكُونَ أُمَّةً عَالَمِيَّةً، يَدْخُلُ فِيهَا النَّاسُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ لِيَكُونُوا مِنْهَا؛ فَيَتَحَقَّقُ وَعْدُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ

(١) سورة النحل/ ٧٨.

(٢) سورة الحشر/ ١.

(٣) سورة الجمعة/ ٢.



يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١﴾، وَلَمْ يَكْتَفِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالْإِشَارَةِ بِإِنزَالِ الْكِتَابِ عَلَى حَضِّ الْأُمَّةِ عَلَى الْقِرَاءَةِ، بَلْ أَمَرَهَا أَمْرًا صَرِيحًا بِذَلِكَ؛ فَقَالَ لَهَا فِي أَوَّلِ مَا نُزِّلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَيْسَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً، أَوْ شَيْئًا يُشَبِّهُهُ التَّسْلِيَةَ، بَلْ أُرِيدُ لَهَا أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِيهَا مِنْهَاجَ حَيَاةٍ يَحْيَا عَلَيْهِ أَفْرَادُهَا وَيَمُوتُونَ، وَلِذَلِكَ تَكَرَّرَ الْأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ آيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ وُرُودِهِ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿٢﴾، وَيَا لِلْعَجَبِ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَى مَا اقْتَرَنَ بِالْأَمْرِ بِالْقِرَاءَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الْخَلْقَ عُمُومًا، وَذَكَرَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقٍ؛ تَنْبِيْهَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى نَوْعٍ خَاصٍّ مِنَ الْقِرَاءَةِ، الْقِرَاءَةِ الَّتِي تَرْفَعُ وَتُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ مِنَ التَّخَلُّفِ وَالْجُمُودِ، الْقِرَاءَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ وَاسِعَ الْإِطْلَاعِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِمَّا يُعِينُهُ عَلَى تَدْبِيرِ الْكِتَابِ الْمُنزَلِ، وَيَجْعَلُهُ قَادِرًا عَلَى فَهْمِ مَعَانِيهِ وَمَرَامِيهِ الَّتِي لَا تَزَالُ تَتَكَشَّفُ لِلْبَشَرِيَّةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ فَإِنَّهُ الْكِتَابُ الَّذِي لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ الْمِنْهَاجُ وَهُوَ الرُّوحُ أُرِيدُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ عَيْنِيهِ، وَيُغْلِقَ عَلَيْهِ عَيْنِيهِ؛ لِيَكُونَ الصَّاحِبَ الَّذِي لَا يُفَارِقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ، وَقَدْ جَاءَ الْهَدْيُ النَّبَوِيُّ مُنْبَهًا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ هُوَ))، وَأَجْمَعَ الْخَيْرِ مَا كَانَ فِيْمَنْ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَيُعَلِّمُهُ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)). وَكَانَ مِنْ لَوَازِمِ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مَعْرِفَةَ اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا، وَكَيْفَ بِإِنْسَانٍ - عِبَادَ اللَّهِ - لَمْ يَأْخُذْ حَظَّهُ مِنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْشِفَ عَمَّا فِيهِ مِنْ عُلُومٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَحِكْمٍ بَالِغَةٍ، وَعِظَاتٍ وَإِرْشَادٍ، وَأَحْكَامٍ وَأَسْرَارٍ؟! أَلَيْسَ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ هُوَ الَّذِي يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٣﴾، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ﴿٤﴾، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥﴾؟ وَمَا كَانَتْ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَعَاءً لِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا لِأَنَّهَا

(١) سورة النصر/٢.

(٢) سورة العلق/٣.

(٣) سورة يوسف/٢.

(٤) سورة الشعراء/١٩٣-١٩٥.

(٥) سورة الزخرف/٣.



أَسْهَلُ اللُّغَاتِ وَأَفْذَرُهَا عَلَى حَمْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَنْ يَسَّرَ الْقُرْآنَ يَسَّرَ اللُّغَةَ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾^(١).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَعْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَ هَدَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأُمِّيَّةَ تَتَلَوْنَ أَشْكَالَهَا وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالَهَا بِتَقَدُّمِ الزَّمَانِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ إِفْرَازَاتِ الْحَضَارَةِ الْحَدِيثَةِ أُمِّيَّاتٌ مُتَّوَعَةٌ ابْتُلِيَتْ بِهَا الْبَشَرِيَّةُ، فَهُنَاكَ أُمِّيَّةٌ حَضَارِيَّةٌ يَدْخُلُ تَحْتَهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الْأُمِّيَّاتِ، وَمِنْهَا الْأُمِّيَّةُ التَّعْلِيمِيَّةُ، فَقَدْ تَجَدَّدَ إِنْسَانًا حَائِرًا لِشَهَادَاتٍ - وَقَدْ تَكُونُ شَهَادَاتٍ عَلِيًّا - وَجَارَ مَرَاكِحَ دِرَاسِيَّةً وَطَوَاهَا، وَهُوَ لَا يُجِيدُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ، فَتَجِدُهُ أَقْرَبَ إِلَى الَّذِي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ مِنْهُ إِلَى الَّذِي يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ، وَإِنَّهُ لَيَدْخُلُ الْإِنْسَانَ الْعَجَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزِيدُونَ وَلَا يَنْقُصُونَ كَيْفَ تَجَاوَزُوا تِلْكَ الْمَرَاكِحَ، وَطَوَوْا تِلْكَ السَّنَوَاتِ، وَتَزْدَادُ عَجَبًا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُحَاوِلُونَ إِصْلَاحَ أَحْوَالِهِمْ وَجَبَرَ خَلَلِهِمْ، بَلْ إِنَّ شَهَادَاتِهِمْ تِلْكَ زَيَّنَتْ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَتَعَلَّمُوا، أَوْ مَنَعَهُمْ حَيَاؤُهُمْ مِنْ إِظْهَارِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَفِي الْأَثَرِ: "لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٍ". وَلَوْ أَدْرَكَ هَؤُلَاءِ مَقَاصِدَ الْقُرْآنِ لِعَلِمُوا أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حَدٍّ، وَلَا يَنْتَهِي عِنْدَ نُقْطَةٍ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(٢)، وَهُنَاكَ أُمِّيَّةٌ لَا تَقِلُّ ضَرَرًا عَنْ سَابِقَتِهَا، فَتَجَدَّدُ إِنْسَانًا يَحْمِلُ شَهَادَةً أَوْ شَهَادَاتٍ، وَتَجِدُهُ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فَضَلَاتِ الطَّعَامِ، وَقَدْ يَرْمِي شَيْئًا مِنَ السِّيَّارَةِ وَهِيَ تَسِيرُ، وَيَمُرُّ وَلَا يُسَلِّمُ، وَلَا يَرَعَى حَقًّا لِإِنْسَانٍ وَلَا لِطَرِيقٍ وَلَا لِشَجَرٍ وَلَا لِحَجَرٍ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا عِلِمَ، وَمَا قِيمَةَ الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ؟! وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَعْلَمْ مَرَّةً، وَوَيْلٌ لِمَنْ يَعْلَمْ وَلَمْ يَعْمَلْ مَرَّتَيْنِ)).

(١) سورة القمر/ ١٧.

(٢) سورة طه/ ١١٤.



هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُم رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِيْنَا وَلَا مَعْنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حُكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

